الترهيب

عناصر الموضوع

مفهوم الترهيب	٤١٤
الترهيب في الاستعمال القرآني	٤١٥
الألفاظ ذات الصلة	٤١٦
أساليب عرض الترهيب	٤١٨
مجالات الترهيب في القرآن	٤٢٢
صور الترهيب في القرآن الكريم	٤٤١
أثر الترهيب في سلوك المرء	٤٤٣
فوائد الترهيب في التربية والدعوة	٤٤٤

مفهوم الترهيب

أولًا: المعنى اللغوي:

يرجع أصل الترهيب إلى الفعل الثلاثي (رهب) بالكسر يرهب رهبةً، ورهبًا بالضم ورهبًا بالتحريك، أي: خاف، ورهب الشيء رهبًا ورهبًا ورهبةً: خافه، والاسم الرّهب والرّهبى والرّهبوت والرهبوت، يقال: رجلٌ رهبوتٌ بفتح الهاء أي: مرهوب، وأرهبه واسترهبه أخافه[1].

قال تعالى: ﴿تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]. أي: تخوفونهم.

قال تعالى: ﴿وَإِيَّىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠]. أي: فخافون، الرهبة والرهب مخافة مع تحرز واضطراب، وتعني: الخوف والفزع، قال سبحانه: ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ١٣].

فيرجع معنى الترهيب إلى التخويف بالعقاب والفزع والاضطراب[2].

ثانيًا: المعنى الاصطلاحي:

عرّفه عبد الرحمن النحلاوي بتعريفين:

«وعيد وتهديد بعقوبة تترتب على اقتراف إثم أو ذنب، مما نهى الله عنه، أو التهاون في أداء فريضة مما أمر الله به».

وعرّفه أيضًا بقوله: «تهديد من الله يقصد به تخويف عباده، وإظهار صفة من صفات الجبروت والعظمة الإلهية؛ ليكونوا دائمًا على حذر من ارتكاب الهفوات والمعاصي»[3].

وقيل: «وعيد وتهديد من الله سبحانه و تعالى بعقوبة عاجلة أو آجلة؛ لتخويف العباد من اقتراف الذنوب والمعاصي، أو التهاون في أداء الفرائض التي أمر الله بها»[4].

فالمعنى الاصطلاحي لا يخرج عن المعنى اللغوي؛ إذ يرجع معنى الترهيب لغة إلى التخويف بالعقاب والفزع والاضطراب.

---

(١) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ١/ ٤٣٧، القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ١/ ١١٨، مختار الصحاح، الرازي، ١/ ٢٦٧، المصباح المنير، الفيومي ١/ ٢٤١، التعاريف، المناوي، ١/ ٣٧٥.

(٢) انظر: المفردات، ص٣٦٧

(٣) أصول التربية الإسلامية وأساليبها، ص٢٥٧.

(٤) الترغيب والترهيب ودورهما في استقامة الإنسان، أحمد رزق ص٤.

الترهيب في الاستعمال القرآني

وردت مادة (رهب) في القرآن الكريم (١٢) مرة، يخص موضوع البحث منها (٨) مرات[١].

والصيغ التي وردت هي:

الصيغة	عدد المرات	المثال
الفعل الماضي	١	﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ﴾ [الأعراف:١١٦]
الفعل المضارع	٢	﴿وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ [الأعراف:١٥٤]
فعل الأمر	٢	﴿وَإِيَّىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾﴾ [البقرة:٤٠]
مصدر	٣	﴿وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ﴾ [القصص:٣٢]

وجاء (الترهيب) في القرآن الكريم بمعناها اللغوي، وهو الخوف والفزع، أو مخافة مع تحرز واضطراب[٢]، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء:٩٠]. يعني: طمعًا وخوفًا[٣].

(١) انظر: المعجم المفهرس، محمد فؤاد عبد الباقي ص ٣٢٥.
(٢) انظر: المفردات، الراغب الأصفهاني ١/ ٣٦٦.
(٣) انظر: النكت والعيون، الماوردي ٣/ ٤٦٨.

الألفاظ ذات الصلة

١ التخويف:

التخويف لغة:

الإخافة، وهو إدخال الخوف في نفس المخاطب[١].

التخويف اصطلاحًا:

إدخال الفزع في قلب المخاطب[٢]؛ حثًّا على التّحرّز من ارتكاب محظور[٣].

الصلة بين الترهيب والتّخويف:

الترهيب أعم من التخويف، فالترهيب يكون بالتخويف وبغيره.

٢ التهديد:

التهديد لغة:

التّخويف[٤]، والتوعّد بالعقوبة[٥].

التهديد اصطلاحًا:

زعزعة أمن المخاطب بالوعيد[٦]، وتخويفه بأمر مكروه مفسد لحاله.

الصلة بين الترهيب والتهديد:

التهديد: الوعيد والتّخويف بالعقوبة[٧]، فيتعلق بالعقوبة المحققة لمن أعرض عن الإنذار، والترهيب أعم.

(١) انظر: مختار الصحاح، الرازي ص٩٨.
(٢) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ٩/ ٩٩.
(٣) انظر: المفردات، الأصفهاني، ص٣٠٣.
(٤) انظر: مختار الصحاح، الرازي، ص٣٢٥.
(٥) انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ٢/ ٩٧٦.
(٦) انظر: المفردات، الأصفهاني، ص٨٣٤.
(٧) لسان العرب، ابن منظور، ٣/ ٤٣٣.

٣ الوعيد:

الوعيد لغة:

التّهديد بالشّر[١].

الوعيد اصطلاحًا:

إنذار بما سيحدث من دمار ونكبات[٢].

الصلة بين الترهيب والوعيد:

الوعيد يكون حاصلًا عن غضبٍ، قد يسكن ويزول[٣] بزوال سببه، أما الترهيب فهو أعم.

٤ الترغيب:

الترغيب لغة:

يقول الراغب الأصفهاني: «والرّغبة والرّغب والرّغبى: السّعة في الإرادة»[٤]، والرغبة إرادة الشيء والسعة في الإرادة، فإذا قيل: رغب فيه وإليه؛ اقتضى الحرص عليه إذا أراده، والرغيبة العطاء الكثير لكونه مرغوبًا فيه.

الترغيب اصطلاحًا:

«وعد من الله سبحانه و تعالى لعباده فيه تحبيب وإغراء بمصلحة، أو لذة أو متعة عاجلة أو آجلة، يتبعه حرص وإرادة، مقابل القيام بعمل صالح أو ترك عمل سيء؛ طاعة لله سبحانه و تعالى»[٥].

الصلة بين الترهيب والترغيب:

أن الترهيب فيه إثارة للخوف والقلق، ويؤثّر في النفس تنغيصًا، بينما الترغيب يعزز الأمن والاطمئنان، ويؤثر في النفس سرورًا، وعليه فإن اللفظين متضادان.

---

(١) انظر: تاج العروس، الزبيدي، ٩/ ٣٠٩، معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد عمر مختار ، ٣/ ٢٤٦٧.

(٢) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد عمر مختار، ٣/ ٢٤٦٧.

(٣) انظر: المصباح المنير، الفيومي، ٢/ ٦٦٥.

(٤) المفردات، ص ٣٥٨.

(٥) الترغيب والترهيب ودورهما في استقامة الإنسان، أحمد رزق ص٣.

أساليب عرض الترهيب

إنّ المتدبر لآيات القرآن الكريم يجد أنّ أسلوب الترهيب جاء على أربعة أنواع:

أولًا: أن يأتي الترهيب في آية واحدة مستقلة:

وقع هذا النوع في كثير من الآيات القرآنية التي جاء الترهيب فيها بآية مستقلة بذاتها، مثل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ [النحل: ٥١].

يقول الشنقيطي في تفسيره: «نهى اللّه جل وعلا في هذه الآية الكريمة جميع البشر عن أن يعبدوا إلهًا آخر معه، وأخبرهم أنّ المعبود المستحقّ لأن يعبد وحده واحدٌ، ثمّ أمرهم أن يرهبوه، أي: يخافونه وحده؛ لأنّه هو الّذي بيده الضّرّ والنّفع، لا نافع ولا ضارّ سواه»[(١)]، ومن الأمثلة على هذا النوع أيضًا قوله تعالى في سورة النمل: ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [النمل: ٩٠].

ذكر الشوكاني ما أجمع عليه أهل التأويل في بيانه لهذه الآية: «إنّ المراد بالسّيّئة هنا الشّرك، ووجه التّخصيص قوله: ﴿فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ﴾ فهذا الجزاء لا يكون إلّا بمثل سيّئة الشّرك، ومعنى: ﴿فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ﴾ أنّهم كبّوا فيها على وجوههم وألقوا فيها وطرحوا عليها، يقال: كببت الرّجل: إذا ألقيته لوجهه فانكبّ وأكبّ، وجملة ﴿هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ بتقدير القول: أي: يقال ذلك، والقائل: خزنة جهنّم، أي: ما تجزون إلّا جزاء عملكم»[(٢)]، ومن الآيات الدالة على هذا النوع قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمۡ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ [السجدة: ٢٠].

فهذا نوع من أنواع الترهيب إلى أولئك الذين فسقوا وخرجوا عن طاعة الله، فهؤلاء مقرّهم النار التي جمعت الشقاء والعذاب، فكلما ظنوا بأنهم سوف يخرجون منها أعيدوا وردّوا للعذاب مرة أخرى، واشتد عليهم الكرب، فيقال لهم -إذلالًا وإهانة-: ذوقوا العذاب الذي كنتم تكذبون به في دنياكم بسبب إنكاركم البعث والحساب[(٣)].

ثانيًا: أن يأتي الترهيب في آيتين متتابعتين:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُمۡ يَعۡمَهُونَ ٤ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ

(١) أضواء البيان، ٢/ ٣٨٢.

(٢) فتح القدير، ٤/ ١٧٩.

(٣) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢١/ ٢٣١، أيسر التفاسير، الجزائري، ٤/ ٢٣٢، تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص٦٥٦.

﴿لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾ [النمل: ٣ - ٦].

يقول الإمام الطبري: «إن الذين لا يصدّقون بالدار الآخرة، وقيام الساعة، وبالمعاد إلى الله بعد الممات والثواب والعقاب، ﴿زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾ يقول: حبّبنا إليهم قبيح أعمالهم، وسهّلنا ذلك عليهم. ﴿فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ يقول: فهم في ضلال أعمالهم القبيحة التي زيّناها لهم يتردّدون حيارى يحسبون أنهم يحسنون»(١)، فكان جزاء هؤلاء العذاب كالقتل والأسر في الدنيا، وفي الآخرة كانوا أشد الناس خسارة لفوات المثوبة واستحقاق العقوبة(٢).

وقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٦ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَـٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [لقمان: ٦- ٧].

«﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى﴾ ما يلهي عن طاعة الله، ويصد عن سبيله، مما لا خير ولا فائدة فيه ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي: ليضل الناس عن طريق الهدى، ويبعدهم عن دينه القويم، بغير حجة ولا برهان ﴿وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا﴾ أي: ويتخذ آيات الكتاب المجيد سخرية واستهزاءً، وهذا أدخل في القبح، وأغرق في الضلال ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ أي: لهم عذاب شديد مع الذلة والهوان ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَـٰتُنَا﴾ أي: وإذا قرئت عليه آيات القرآن ﴿وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾ أي: أعرض وأدبر متكبرًا عنها كأنه لم يسمعها، شأن المتكبر الذي لا يلتفت إلى الكلام، ويجعل نفسه كأنها غافلة ﴿كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾ أي: كأن في أذنيه ثقلًا وصممًا يمنعانه عن استماع آيات الله ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ أي: أنذره يا محمد بعذاب مؤلم، مفرطٍ في الشدة والإيلام، ووضع البشارة بأشد العذاب»(٣).

وهكذا نجد أن القرآن الكريم ذكر آيات كثيرة في كتابه تندرج تحت هذا النوع من أنواع الترهيب؛ حتى يكون المسلم على حذرٍ من الوقوع في أي معصية أو ذنب، يستحق بسببهما العذاب سواء في الدنيا أو الآخرة.

ثالثًا: أن يأتي الترهيب في مقطع قرآني:

قال تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۝٢١ لِّلطَّـٰغِينَ مَـَٔابًا ۝٢٢ لَّـٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ۝٢٣ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ۝٢٤ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ۝٢٥ جَزَآءً وِفَاقًا ۝٢٦ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ

(١) جامع البيان، ١٩/ ٤٢٦.
(٢) انظر: لباب التأويل، الخازن، ٣/ ٣٣٧، أنوار التنزيل، البيضاوي، ٤/ ١٥٤.
(٣) صفوة التفاسير، الصابوني، ٢/ ٤٤٨.

﴿حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ كِتَـٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النبأ: ٢١ - ٣٠].

يقول الزحيلي في تفسيره: «﴿مِرْصَادًا﴾ موضع رصد، يرصد فيه خزنة النار للطّاغين الكافرين، الذين طغوا بمخالفة أوامر ربهم، ﴿مَـَٔابًا﴾ مرجعًا ومأوى، لابثين مقيمين، ﴿أَحْقَابًا﴾ دهورًا لا نهاية لها، جمع حقب، وواحدها حقبة، وهي مدة مبهمة من الزمان، ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا﴾ برودة الهواء، ويطلق أيضًا على النوم، ﴿وَلَا شَرَابًا﴾ أي: ما يشرب تلذذًا لتسكين العطش، ﴿إِلَّا حَمِيمًا﴾ الحميم: الماء الحارّ الشديد الغليان، ﴿وَغَسَّاقًا﴾ قيح وصديد أهل النار الدائم السيلان من أجسادهم، ﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾ أي: جوزوا بذلك جزاء موافقًا لأعمالهم وكفرهم، فلا ذنب أعظم من الكفر، ولا عذاب أعظم من النار، ﴿لَا يَرْجُونَ﴾ لا يخافون أو لا يتوقعون ﴿حِسَابًا﴾ محاسبة على أعمالهم لإنكارهم البعث، ﴿بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ القرآن ﴿كِذَّابًا﴾ تكذيبًا كثيرًا، ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ﴾ أي: من الأعمال ﴿أَحْصَيْنَـٰهُ﴾ ضبطناه، ﴿كِتَـٰبًا﴾ أي: ضبطناه بالكتابة، ﴿فَذُوقُوا۟﴾ أي: فيقال لهم في الآخرة عند وقوع العذاب عليهم: ذوقوا جزاءكم، ﴿فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ أي: فوق عذابكم»[1].

ومن الأمثلة على الترهيب في مقطع قرآني، ما وصفه الله سبحانه وتعالى من العذاب لأهل النار، في قوله تعالى في سورة الواقعة: ﴿وَأَصْحَـٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَـٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾ [الواقعة: ٤١ - ٤٤].

يقول جلال الدين المحلي: «﴿فِى سَمُومٍ﴾ ريح حارّة من النّار تنفذ في المسامّ ﴿وَحَمِيمٍ﴾ ماء شديد الحرارة ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ﴾ دخان شديد السّواد، ﴿لَّا بَارِدٍ﴾ كغيره من الظّلال ﴿وَلَا كَرِيمٍ﴾ حسن المنظر»[2].

وبعد هذه الآيات ذكرت لنا السورة أسباب استحقاق هؤلاء الكفار للعذاب في أنهم كانوا منعّمين بالحرام في الدنيا، وكانوا يصرّون على الشرك بالله، وأنكروا البعث والجزاء، ثم جاءت الآيات لتصف لنا أنواعًا أخرى من العذاب، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَـَٔاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَـٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَـٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَـٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ [الواقعة: ٥١ - ٥٦].

يقول القاسمي في تفسيره: «﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ﴾ أي: الجاهلون المصرّون على جهالاتهم، والجاحدون للبعث، ﴿لَـَٔاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ﴾ وهو من أخبث شجر

(١) التفسير المنير، ٣٠/ ١٦.

(٢) تفسير الجلالين، ص٧١٥.

البادية في المرارة، وبشاعة المنظر، ونتن الريح ﴿فَٰلِهُونَ﴾ منها ﴿ٱلْبَطُونَ﴾ أي: من ثمراتها الوبيئة البشعة المحرقة، ﴿فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ﴾ أي: الماء الذي انتهى حره وغليانه، ﴿فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ﴾ أي: الإبل التي بها الهيام، وهو داء لا ريّ معه؛ لشدة الشغف والكلب، بها ﴿هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ أي: جزاؤهم في الآخرة»[1].

رابعًا: أن يأتي الترهيب في سورة قرآنية:

من أنواع الترهيب في القرآن الكريم ما جاء في سورة قرآنية، مثل ما جاء في سورة الهمزة.

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ﴾ [الهمزة: ١ -٩].

يقول الطبري: «﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ﴾ الوادي يسيل من صديد أهل النار وقيحهم، ﴿لِّكُلِّ هُمَزَةٍ﴾: لكل مغتاب للناس، ﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ﴾ ولم ينفقه في سبيل الله، ولم يؤدّ حق الله فيه، ولكنه جمعه فأوعاه وحفظه، يحسب أن ماله الذي جمعه وأحصاه وبخل بإنفاقه مخلّده في الدنيا، فمزيل عنه الموت، ثم أخبر -جلّ ثناؤه- أنه هالك ومعذّب على أفعاله ومعاصيه التي كان يأتيها في الدنيا، فقال -جل ثناؤه-: ﴿لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ﴾ ليقذفنّ يوم القيامة في الحطمة، والحطمة: اسم من أسماء النار، ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ﴾ وأيّ شيء أشعرك يا محمد ما الحطمة، ثم أخبره عنها ما هي، ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ﴾ يقول: التي يطلع ألمها ووهجها القلوب، ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾ يعني: على هؤلاء الهمازين اللمازين ﴿مُّؤْصَدَةٌ﴾: مطبقة، ﴿عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ﴾ أنهم يعذّبون بعمد في النار، والله أعلم كيف تعذيبه إياهم بها»[2].

من خلال ما سبق بيانه، ظهر لنا أنّ القرآن الكريم استخدم أنواع الترهيب المختلفة في كتابه، وإن دل ذلك على شيء، فإنما يدل على أنّ القرآن الكريم لم يغفل هذا الجانب؛ لأهميته في حياة المسلم، وأثره الكبير في استقامة الإنسان على طاعة ربه وامتثال أوامره واجتناب نواهيه؛ كي ينجو من العذاب الذي أعدّه الله سبحانه وتعالى لمن عصاه وأشرك به، ويفوز بالجزاء العظيم، والنعيم المقيم الذي أعدّه لعباده المتقين.

(١) محاسن التأويل، ٩/ ١٢٥.

(٢) جامع البيان، ٢٤/ ٥٩٩.

مجالات الترهيب في القرآن

يسعى الشيطان جاهدًا ليوقع الإنسان في الضلال والغواية، ويجعله يرتكب جرائم عديدة، أخطرها تلك التي تتعلق بحق الله سبحانه و تعالى، كالكفر والشرك والنفاق، وقد رهّب سبحانه و تعالى من هذه الجرائم ورتّب عليها عقوبات زاجرة؛ حتى تكون مانعة للإنسان من الوقوع فيها، فإن الشرك خطره كبير، فهو من أكبر الكبائر، ومن أعظم الظلم، فهو سبب في عدم مغفرة الذنب، كذلك النفاق أشد خطرًا من الكفر والشرك، وقد جاءت الآيات القرآنية تحذّر من الوقوع فيه، وقد توعّد الله سبحانه و تعالى المنافقين بالعذاب الشديد يوم القيامة، وإن الكفر من الجرائم المتعلقة في حق الله سبحانه وتعالى؛ لأنه منافٍ للإيمان، ومحبط للعمل، فقد رتّب الله سبحانه و تعالى على مرتكبي هذه الجرائم أشد العقوبات وأبشعها؛ لأنها من الأعمال السيئة؛ كي تكون رادعة للإنسان في حياته الدنيا وزاجرة له، وسوف نتحدث في هذه السطور عن مجالات الترهيب في القرآن كالكفر والشرك والنفاق، والأعمال السيئة والعقاب:

أولًا: الكفر:

إنّ الكفر والشرك والنفاق من الجرائم المتعلقة بحق الله سبحانه وتعالى.

ولذا فقد رهّب الله سبحانه وتعالى من هذه الأمور، ورتّب عليها العقوبات، وهذا ما سنتحدث عنه:

ويعدّ الكفر من الجرائم المتعلقة بحق الله؛ لأنه منافٍ للإيمان، وقد ذم الله سبحانه و تعالى الكفر.

وبيّن سوء عاقبته على الكافرين في كثير من آيات القرآن الكريم، وتوعّدهم بالعذاب والهلاك، ومن صور الوعيد ما يلي:

١ . العذاب الأليم.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١].

بيّن سبحانه و تعالى حال أولئك الكافرين ومصيرهم، فهم يكفرون بآيات الله، وهي الدلائل الواضحة، وما بعث به رسله، ويقتلون مع ذلك النبيين بغير حق ولا سبب موجب للقتل، ويقتلون الذين يأمرونهم من أتباع الأنبياء المؤمنين الصالحين، فكان مصيرهم العذاب أليم[1].

(١) انظر: أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري، ١/ ٣٠٠.

٢. العذاب المهين.

قال تعالى: ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [البقرة: ٩٠].

توعّد الله سبحانه وتعالى الكافرين بالعذاب المهين وهو الذي يهين صاحبه ويذله في الدنيا والآخرة؛ وذلك بسبب كفرهم بالله وما أنزل على رسله[١].

٣. الضلال المبين.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

﴿وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾، وبمحمد وما جاء به من عند الله.

يقول السعدي في تفسيره: «واعلم أن الكفر بشيء من هذه المذكورات، كالكفر بجميعها؛ لتلازمها وامتناع وجود الإيمان ببعضها دون بعض»[٢].

وقد بيّن سبحانه و تعالى جزاء من يكفر بهذه المذكورات ﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ فإنه يعني: فقد ذهب عن قصد السبيل، وجار عن محجّة الطريق إلى المهالك؛ لأن كفر من كفر بذلك، خروجٌ منه عن دين الله الذي شرعه لعباده، والخروج عن دين الله فيه الهلاك والبوار، وفيه الضلال عن الهدى[٣].

٤. لعنة الله والملائكة على الكافرين.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [البقرة: ١٦١].

يقول ابن كثير في تفسيره: «ثم أخبر تعالى عمن كفر به، واستمر به الحال إلى مماته بأنّ ﴿عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ أي: في اللعنة التابعة لهم إلى يوم القيامة، ثم المصاحبة لهم في نار جهنم التي لا يخفّف عنهم العذاب فيها، أي: لا ينقص عما هم فيه، ولا هم ينظرون، أي لا يغيّر عنهم ساعة واحدة ولا يفتر، بل هو متواصل دائم، فنعوذ بالله من ذلك»[٤]، وقال سبحانه و تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ [الأحزاب: ٦٤].

٥. شراب الكافرين من الحميم.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ [يونس: ٤].

يخبر سبحانه و تعالى عن أولئك الذين جحدوا وحدانية الله، ورسالة رسوله صلى الله عليه وسلم، بأن لهم شرابًا من ماء حارٌّ شديد الحرارة، يشوي الوجوه ويقطّع

(١) انظر: فتح القدير، الشوكاني، ٥/ ٢٦٢.
(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص٢٠٩.
(٣) انظر: جامع البيان، الطبري، ٩/ ٣١٤.
(٤) تفسير القرآن العظيم، ٢/ ١٣٨.

الأمعاء، ولهم عذاب موجع بسبب كفرهم وضلالهم[1].

٦. الكافرون لا مولى لهم، ولا ناصر ينصرهم.

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد: ١١].

إن الله سبحانه و تعالى ولي المؤمنين وناصرهم ومؤيدهم، أما الكافرون فـ ﴿لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ ينصرهم، أو يدفع عنهم ما حلّ بهم من دمار وخسران بسبب كفرهم وجحودهم[2].

٧. الخلود في نار جهنم.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٣٩].

يقول البغوي: «﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ يعني: جحدوا، ﴿وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ بالقرآن، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ يوم القيامة، ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ لا يخرجون منها، ولا يموتون فيها»[3].

وهكذا نجد أن الله سبحانه وتعالى توعّد من كفر، أو وقع في الكفر بأنواع عديدة من العذاب، ولما علم الإنسان ماله من الوعيد حينما يكفر بالله عز و جل وآياته، وأن مأواه جهنم، وأن الله عز و جل سيذله ويذيقه من العذاب الأليم والشراب الحميم، ويلعنه الله والملائكة والناس أجمعون، ويخلد في نار جهنم، كما قال سبحانه و تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[البقرة: ٣٩].

فإن الإنسان لا يستقيم حاله إلا بإقراره بوحدانية ربه وتوحيده، وتجعله يسير وفق ما يريد الله عز و جل، ويجتنب الأمور التي توقع صاحبها في الكفر، فإن علم الإنسان المسلم ذلك، فإنه سينقاد إلى طاعة خالقه عز وجل، ويبتعد عن الكفر، ويكفر بكل ما عبد من غير الله عز وجل، من حجر، وشجر وغيره.

يقول الله عز و جل: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

فالإيمان بالله سبب من أسباب استقامة الإنسان على طاعة الرحمن، والبعد عن طاعة الشيطان.

ثانيًا: الشرك:

إن الشرك جريمة عظيمة بحق الله سبحانه و تعالى، فالشرك ظلم النفس، حيث وصفه سبحانه وتعالى بأنه أعظم الظلم،

(١) انظر: روح المعاني، الألوسي، ٧/ ٤٣٠.
(٢) انظر: الوسيط، محمد سيد طنطاوي، ١/ ٣٨٨٦.
(٣) معالم التنزيل، ١/ ٨٦.

قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

وذلك لأن المشرك يجعل المخلوق في منزلة الخالق؛ لذلك جاء التحذير منه في القرآن الكريم، واعتبره الرسول صلى الله عليه وسلم كبيرة من كبائر الذنوب، فالشرك: جعل شريك لله في ربوبيته أو إلهيته، كأن يدعو مع الله غيره، أو يصرف له شيئًا من أنواع العبادة، كالذبح والنذر والخوف والرجاء[١].

ولقد تنوعت دلالة النصوص على ذم الشرك، والتحذير منه وبيان خطره، وسوء عاقبته على المشركين في الدنيا والآخرة، وبيان ذلك في النقاط الآتية:

١. الشرك الذنب الذي لا يغفر إلا بتوبة.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

يقول أبو بكر الجزائري: «فأخبر تعالى عن نفسه بأنه لا يغفر الذنب المعروف بالشرك والكفر، وأما سائر الذنوب كبيرها وصغيرها فتحت المشيئة، إن شاء غفرها لمرتكبها فلم يعذّبه بها، وإن شاء آخذه بها وعذّبه، وأن من يشرك به تعالى فقد اختلق الكذب العظيم؛ إذ عبد من لا يستحق العبادة، ومن لا حق له في التأليه؛ فلذا هو قائل بالزور وعامل بالباطل، ومن هنا كان ذنبه عظيمًا»[٢]، فمن رحمة الله سبحانه وتعالى بعباده أنه يغفر الذنوب مهما عظمت، فإذا تاب المشرك عن شركه، ورجع إلى ربه وأناب، فإن الله سبحانه وتعالى يغفر له، يقول الإمام السعدي رحمه الله في تفسيره لهذه الآية: «وهذه الآية الكريمة في حق غير التائب، وأما التائب فإنه يغفر له الشرك فما دونه، كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣].

أي: لمن تاب إليه وأناب؛ ولهذا حتّم على صاحبه بالخلود بالعذاب وحرمان الثواب»[٣]، قال تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢].

٢. وصف الله الشرك بأنه ظلم عظيم.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

يقول ابن عاشور في تفسيره: «والمراد بالظالمين ابتداءً: المشركون، أي: الذين ظلموا أنفسهم إذ أشركوا بالله، قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

والظلم يشمل أيضًا عمل المعاصي الكبائر، كما وقع في قوله تعالى: ﴿وَمِن

(١) انظر: عقيدة التوحيد، صالح الفوزان، ص٥١.

(٢) أيسر التفاسير، ١/ ٤٨٩.

(٣) تيسير الكريم الرحمن، ص١٨١.

﴿ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾ [الصافات: ١١٣].

وقد وصف القرآن اليهود بوصف الظالمين في قوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥].

فالمراد بالظلم: المعاصي الكبيرة وأعلاها الشرك بالله تعالى»[(١)]، وإنّ أول وصية وصى بها لقمان ابنه وهو يعظه ألا يشرك بالله؛ لخطره على صاحبه، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

٣. الشرك محبطٌ لجميع للأعمال، وسببٌ في خسران صاحبه.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥].

أي: أوحى الله سبحانه و تعالى إلى محمد صلى الله عليه وسلم كما أوحى إلى الأنبياء من قبله، ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ﴾ بنا غيرنا في عبادتنا ﴿لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ أي: يبطل كله، ولا تثاب على شيء منه وإن قلّ، ﴿وَلَتَكُونَنَّ﴾ بعد ذلك من جملة الخاسرين الذين يخسرون أنفسهم وأهليهم يوم القيامة، وذلك هو الخسران المبين[(٢)]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨].

يقول ابن كثير: «هذا تشديد لأمر الشرك، وتغليظ لشأنه، وتعظيم لملابسته»[(٣)].

٤. تحريم دخول الجنة على المشرك.

قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

يقول ابن جرير الطبري في تفسيره: «﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ﴾، أن يسكنها في الآخرة، ﴿وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾ يقول: ومرجعه ومكانه الذي يأوي إليه ويصير في معاده، من جعل لله شريكًا في عبادته نار جهنم، ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾، يقول: وليس لمن فعل غير ما أباح الله له، وعبد غير الذي له عبادة الخلق، ﴿مِنْ أَنصَارٍ﴾، ينصرونه يوم القيامة من الله، فينقذونه منه إذا أورده جهنم»[(٤)].

(١) التحرير والتنوير، ١/ ٧٠٦.

(٢) انظر: أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري، ٤/ ٥٠٥.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ٥/ ٤٤٥.

(٤) جامع البيان، ١٠/ ٤٨١.

٥. المشرك حلال الدم والمال.

قال تعالى: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ [التوبة: ٥].

يقول سبحانه وتعالى: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ﴾ أي: «التي حرم فيها قتال المشركين المعاهدين، وهي الأشهر الحرم الأربعة[١]، وتمام المدة لمن له مدة أكثر منها، ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ في أي مكان وزمان»[٢]، يقول القرطبي: «يقتضي جواز قتلهم بأي وجه كان، إلا أن الأخبار وردت بالنهي عن المثلة»[٣]، ﴿وَخُذُوهُمْ﴾ أسرى ﴿وَاحْصُرُوهُمْ﴾ أي: ضيّقوا عليهم واحبسوهم، فلا تدعوهم يتوسعون في بلاد الله وأرضه، التي جعلها الله معبدًا لعباده، فهؤلاء ليسوا أهلًا لسكنها، ولا يستحقون منها شبرًا؛ لأن الأرض أرض الله، وهم أعداؤه المتنابذون له ولرسله، المحاربون الذين يريدون أن تخلو الأرض من دينه، ويأبى الله إلا أن يتم نوره، ولو كره الكافرون، ﴿وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ أي: كل ثنية وموضع يمرون عليه، ورابطوا في جهادكم، وابذلوا غاية مجهودكم في ذلك، ولا تزالوا على هذا الأمر؛ حتى يتوبوا من شركهم»[٤].

٦. براءة الله سبحانه و تعالى من المشركين ورسوله صلى الله عليه وسلم.

قال تعالى: ﴿وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة: ٣].

أمر النبي صلى الله عليه وسلم مؤذنه أن يؤذّن يوم الحج الأكبر، وهو يوم النحر، وقت اجتماع الناس مسلمهم وكافرهم، من جميع جزيرة العرب، أن يؤذن بأنّ اللّه بريء ورسوله من المشركين، فليس لهم عنده عهد وميثاق، فأينما وجدوا قتلوا، وقيل لهم: لا تقربوا المسجد الحرام بعد عامكم هذا، وكان ذلك سنة تسع من الهجرة، ثم رغّب تعالى المشركين بالتوبة، ورهّبهم من الاستمرار على الشرك[٥].

فقال تعالى: ﴿فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه قال: **(أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عمل**

(١) الأشهر الحرم أربعة هي: ذو القعدة، ذو الحجة، محرم، رجب.
(٢) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص٣٢٩.
(٣) الجامع لأحكام القرآن، ٨/ ٧٢.
(٤) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص٣٢٩.
(٥) المصدر السابق، ص٣٢٨.

عملًا فأشرك فيه غيري، فأنا منه بريء، وهو للذي أشرك)[1].

٧. نجاسة المشرك (المعنوية).

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: ٢٨].

يقول الإمام السعدي: «﴿نَجَسٌ﴾ أي: خبثاء في عقائدهم وأعمالهم، وأي نجاسة أبلغ ممن كان يعبد مع اللّه آلهة لا تنفع ولا تضر، ولا تغني عنه شيئًا، وأعمالهم ما بين محاربة للّه، وصد عن سبيل اللّه ونصر للباطل، ورد للحق، وعمل بالفساد في الأرض لا في الصلاح»[2].

٨. الشرك افتراءٌ و إثم عظيمٌ على الله سبحانه و تعالى.

قال تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨].

ومن يشرك بالله في عبادته، ﴿فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ أي: اختلق ﴿إِثْمًا عَظِيمًا﴾، وإنما جعله الله تعالى مفتريًا؛ لأنه قال زورًا، وإفكًا بجحوده وحدانية الله، وإقراره بأن لله شريكًا من خلقه.

لما يعلم الإنسان خطر الشرك، فإنه سيبذل قصارى جهده من أجل عدم الوقوع فيه؛ لأن الشرك سبب في عدم مغفرة الذنوب، فالمشرك حلال الدم والمال، وإنّ الله سبحانه و تعالى تبرأ من المشركين ورسوله صلى الله عليه وسلم.

فالشرك يوجب لصاحبه العذاب في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٧٣].

فهو أبغض الأشياء إلى الله، قال ابن القيم: «إنّ الشرك لما كان أظلم الظلم، وأقبح القبائح، وأنكر المنكرات، كان أبغض الأشياء إلى الله، وأكرهها له وأشدها مقتًا لديه، ورتّب عليه من عقوبات الدنيا والآخرة ما لم يرتبه على ذنب سواه، وأخبر أنه لا يغفره، وأن أهله نجس، ومنعهم من قربان حرمه، وحرّم ذبائحهم ومناكحتهم، وقطع الموالاة بينهم وبين المؤمنين، وجعلهم أعدّاء له سبحانه ولملائكته ورسله وللمؤمنين، وأباح لأهل التوحيد أموالهم ونساءهم وأبناءهم وأن يتخذوهم عبيدًا؛ وهذا لأن الشرك هضم لحقّ الربوبية، وتنقيص لعظمة الإلهية»[3].

فيجب على الإنسان أن يتحرر من جميع مظاهر الشرك، وأن يقلع عنها، ويستنير بنور التوحيد؛ لأنه سبب في مغفرة الذنوب واستقامة الإنسان، يقول ابن القيم: «فإن التوحيد الخالص الذي

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد، باب من أشرك في عمله، ٤/ ٢٢٨٩، رقم ٢٩٨٥.
(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص٣٣٣.
(٣) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ١/ ٦٠.

لا يشوبه شرك، لا يبقى معه ذنب فإنه يتضمن من محبة الله تعالى، وإجلاله، وتعظيمه وخوفه، ورجائه وحده مما يوجب غسل الذنوب، ولو كانت قراب الأرض»[1]، فالذي يتوجه إلى ربه بالعبادة وحده لا شريك له، ولا يصرف شيئًا من العبادة لغيره، فقد حقّق التوحيد واستقام على شرع الله سبحانه و تعالى.

ثالثًا: النفاق:

إن النفاق داء عضال، وانحراف خطير في حياة الأفراد والمجتمعات والأمم، فخطره عظيم، وشرور أهله كثيرة، وتكمن خطورته في آثاره المدمرة على حياة الأفراد والمجتمعات.

النفاق معناه: إظهار الإسلام وإبطان الكفر والشرك[2].

وسوف نتحدث عن النفاق ونبين صفات المنافقين؛ حتى يكون المسلم على حذر من الوقوع في النفاق، ومما يعين المسلم على ذلك تدبر ما ذكره الله سبحانه وتعالى في كتابه من صفاتهم، وما صحت به السنة النبوية، إن للمنافقين صفات كثيرة نشير إليها مجرد إشارات مختصرة، وإلا فإن التفصيل يحتاج إلى مؤلفات تفضح ما هم عليه، ومن أهم صفات المنافقين ما يأتي:

١. أنهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم.

قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨].

ومن الناس فريق يتردد متحيرًا بين المؤمنين والكافرين، وهم المنافقون الذين يدّعون الإيمان بألسنتهم ويضمرون الكفر في قلوبهم، وهم في باطنهم كاذبون لم يؤمنوا بالله ولا باليوم الآخر، فنفى الله سبحانه و تعالى عنهم صفة الإيمان؛ لأنهم أشد خطورة من الكافرين[3].

٢. خداع الله سبحانه وتعالى والمؤمنين.

قال تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ٩].

يقول ابن كثير في تفسيره للآية: «﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي: بإظهارهم ما أظهروه من الإيمان مع إسرارهم الكفر، يعتقدون بجهلهم أنهم يخادعون الله بذلك، وأنّ ذلك نافعهم عنده، وأنه يروج عليه كما يروج على بعض المؤمنين.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ

(١) المصدر السابق، ١/ ٦٤.
(٢) انظر: عقيدة التوحيد، صالح الفوزان، ص٥٨.
(٣) انظر: أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري، ١/ ٢٥.

﴿ٱلْكَٰذِبُونَ﴾[المجادلة: ١٨]؛ ولهذا قابلهم على اعتقادهم ذلك بقوله تعالى: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ يقول: وما يغرون بصنيعهم هذا ولا يخدعون إلا أنفسهم، وما يشعرون بذلك من أنفسهم»[(١)].

٣. الإفساد في الأرض بالقول والفعل.

قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٢].

يقول سيد طنطاوي في تفسيره: «الفساد: خروج الشيء عن حالة الاعتدال والاستقامة، وعن كونه منتفعًا به، وضده الصلاح، يقال: فسد الشيء فسادًا، وأفسده إفسادًا، والمراد به هنا: كفرهم، ومعاصيهم، ومن كفر بالله وانتهك محارمه فقد أفسد في الأرض؛ لأن الأرض لا تصلح إلا بالتوحيد والطاعة، ومن أبرز معاصي هؤلاء المنافقين، ما كانوا يدعون إليه في السر من تكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم، وإلقاء الشّبه في طريق دعوته، والتحالف مع المشركين ضد المسلمين، كلما وجدوا لذلك سبيلًا»[(٢)].

٤. الاستهزاء بالمؤمنين.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ۝١٤ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة: ١٤-١٥].

«هؤلاء المنافقون إذا قابلوا المؤمنين قالوا: صدّقنا بالإسلام مثلكم، وإذا انصرفوا وذهبوا إلى زعمائهم الكفرة المتمردين على الله، أكّدوا لهم أنهم على ملة الكفر لم يتركوها، وإنما كانوا يستخفّون بالمؤمنين، ويسخرون منهم، فالله سبحانه وتعالى يستهزئ بهم معاملة لهم بالمثل؛ لتزداد حيرتهم، وتضطرب نفوسهم، وتضل عقولهم؛ لأنهم استبدلوا الإيمان بالكفر والإخلاص بالنفاق»[(٣)].

٥. المنافقون يحلفون كذبًا ليستروا جرائمهم.

قال تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ٢].

يقول ابن كثير في تفسيره: «أي: اتقوا الناس بالأيمان الكاذبة، والحلفان الآثمة؛ ليصدقوا فيما يقولون، فاغتر بهم من لا يعرف جلية أمرهم، فاعتقدوا أنهم مسلمون، فربما اقتدى بهم فيما يفعلون، وصدّقهم فيما يقولون، وهم من شأنهم أنهم كانوا في الباطن لا يألون الإسلام وأهله خبالًا -مفسدة- فحصل بهذا القدر ضرر كبير على كثير من الناس»[(٤)].

(١) تفسير القرآن العظيم، ١/ ٢٨٣.
(٢) الوسيط، ١/ ٢٧.
(٣) أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري، ١/ ٢٨.
(٤) تفسير القرآن العظيم، ١٤/ ٥.

٦. موالاة المنافقين للكافرين ونصرتهم على المؤمنين.

قال تعالى: ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ [النساء: ١٣٨، ١٣٩].

يقول الإمام الشوكاني: «إطلاق البشارة على ما هو شر خالص لهم تهكم بهم»(١).

وقد وصف الله سبحانه وتعالى حال المنافقين بأنهم يوالون الكافرين، ويتخذونهم أعوانًا لهم، ويتركون ولاية المؤمنين، ولا يرغبون في مودتهم، أيطلبون بذلك النصرة والمنعة عند الكافرين؟ إنهم لا يملكون ذلك، فالنصرة والعزة والقوة جميعها لله تعالى وحده(٢).

وهذا المعنى الذي دلّت عليه هذه الآية الكريمة، جاء موضحًا في آيات من كتاب الله تعالى، كقوله تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴾ [مريم: ٨٢].

وقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [يونس: ٦٥].

وقوله تعالى: ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ ﴾ [المنافقون: ٨].

٧. المنافقون يعملون على تهوين المؤمنين وتخذلهم.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ ۛ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَـَٔاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الأحزاب: ١٢ – ١٨].

يقول المنافقون والذين في قلوبهم شك ومرض: ما وعدنا الله ورسوله من النصر والتمكين إلا باطلًا من القول والغرور، فلا تصدّقوا، واذكر يا محمد قول طائفة من المنافقين الذين ينادون المؤمنين من أهل المدينة: لا إقامة لكم في معركة خاسرة، فارجعوا إلى منازلكم؛ لأنها غير محصنة، فالحق أنهم قصدوا بذلك الفرار من القتال،

(١) فتح القدير، ١/ ٧٩٣.
(٢) انظر: أضواء البيان، الشنقيطي، ٦/ ٢٨٠.

فهؤلاء المنافقون عاهدوا الله سبحانه وتعالى ألا يفروا من الحرب، وألا يتأخروا إذا دعوا إلى الجهاد؛ لكنهم خانوا عهدهم وسيحاسبهم الله سبحانه وتعالى على تلك الخيانة وعدم وفائهم بالعهد، وقل يا محمد لهؤلاء المنافقين: ﴿لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ﴾ من المعركة خوفًا من الموت أو القتل، فإن ذلك لا يؤخّر آجالكم، وإن فررتم فلن تتمتعوا إلا بقدر أعمالكم المحدودة، وهو زمن يسير جدًّا بالنسبة للآخرة، ومن الذي يمنع المنافقين من عذاب الله وسخطه، فالمنافقون ليس لهم من دون الله ناصر ينصرهم، وإن الله سبحانه وتعالى يعلم المثبطين من المنافقين عن الجهاد في سبيل الله، فكان ديدن هؤلاء المنافقين العمل على تهوين المؤمنين وتثبيطهم وتخذلهم[1].

٨. التحاكم إلى الطاغوت.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ [النساء: ٦٠، ٦١].

هكذا حال المنافقين: إنهم يتركون التحاكم إلى الله ورسوله، فهم حين لا يقبلون حكم الله ورسوله، ويفتضح نفاقهم، يأتون بأعذار كاذبة ملفقة، ويحلفون الأيمان لتبرئة أنفسهم، إننا لم نرد مخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم في أحكامه، إنما أردنا التوفيق والمصالحة، وأردنا الإحسان لكل من الفريقين المتخاصمين، ومن عجيب أمرهم في ذلك، أنهم إذا وجدوا الحكم لصالحهم قبلوه[2]، وإن يكن عليهم يعرضوا عنه.

وقد أخبر الله سبحانه وتعالى بذلك ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾ [النور: ٤٧ – ٤٩].

٩. طعنهم في المؤمنين وتشكيكهم في نوايا الطائعين.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ۙ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٧٩].

إن الله سبحانه وتعالى توعد بالعذاب الأليم للمنافقين الذين يسخرون من

(١) انظر: الكشاف، الزمخشري، ٥/ ٥٥، مفاتيح الغيب، الرازي، ٢٥/ ١٤٧.

(٢) انظر: اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الحنبلي، ٦/ ٤٥٢.

المؤمنين المتصدقين، فإذا تصدق الأغنياء بالمال الكثير عابوهم واتهموهم بالرياء، وإذا تصدق الفقراء بما في طاقتهم استهزءوا بهم، وقالوا: إن الله غني عن هذه الصدقة، وقد روى ابن مسعود رضي الله عنه قال: (لما نزلت آية الصدقة كنا نحامل على ظهورنا، فجاء رجل فتصدق بشيء كثير، فقالوا: مراء، وجاء رجل فتصدق بصاع فقالوا: إن الله لغني عن صدقة هذا، فنزل قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[التوبة: ٧٩])[1].

والنفاق انحراف خطير يطرأ على سلوك الإنسان، وقد رهّب منه القرآن الكريم؛ حيث توعد الله سبحانه وتعالى المنافقين بالعذاب الشديد في نار جهنم.

قال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا هِىَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾[التوبة: ٦٨].

وقد حذّر الله سبحانه وتعالى من النفاق؛ لما له من آثار جسيمة على الفرد والمجتمع، فلما يعلم الإنسان خطر النفاق وآثاره المدمرة وصفات المنافقين، وما أعد لهم من الوعيد الشديد، حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾[النساء: ١٤٥].

فإن الإنسان يحرص كل الحرص، ويحذر كل الحذر من الوقوع في النفاق بأنواعه، فيبدأ بتصحيح نواياه ومعتقداته، ويجعلها خالصة لله عز وجل، مما يدفعه ذلك إلى الاستقامة على طاعة ربه، فيترفع عن أخلاق المنافقين وصفاتهم الذميمة التي أشار إليها القرآن والسنة، وبذلك تتحقق الاستقامة للفرد والمجتمع.

رابعًا: الأعمال السيئة:

رهّب الله سبحانه وتعالى من الأعمال السيئة، وبيّن أن الإنسان مسئول عن أعماله سواء كانت صالحة أو سيئة، قال تعالى: ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾[فصلت: ٤٦].

وسوف نتحدث هنا عن بعض الأعمال السيئة في القرآن، كالقتل، والزنا، والقذف، والسرقة.

١. القتل.

إن القتل جريمة خطيرة، لها أضرارها على الفرد والمجتمع، وقد ذكر الله تحريمها في مواطن كثيرة من القرآن الكريم.

فقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب اتقوا النار ولو بشق تمرة، ٢/ ١٠٩، رقم ١٣٤٩.

لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴾ [الإسراء: ٣٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٩٢، ٩٣].

جاءت الآية الأولى تبين حكم من قتل مؤمنًا خطأً، والقتل الخطأ هو القتل الحادث بغير قصد الاعتداء لا للفعل، ولا للشخص، كأن وقع شخص على آخر فمات، أو رمى شجرة أو دابة، فأصابت الرمية إنسانًا فمات، أو رمى آدميًّا فأصاب غيره فمات، فإذا حصل ووقع القتل بطريق الخطأ؛ فعلى القاتل عتق رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهل القتيل، إلا إذا عفوا عنه وأسقطوا الدية باختيارهم فلا تجب حين إذن، وإذا كان المقتول مؤمنًا وأهله من الكفار، فالواجب على قاتله عتق رقبة مؤمنة، ولا تجب الدية لأهله؛ لأنهم أعداء محاربون فلا يعطوا من أموال المسلمين ما يستعينون به على قتالهم، وأما إذا كان المقتول معاهدًا أو ذميًّا فالواجب في قتله كالواجب في قتل المؤمن، وهي دية مسلمة إلى أهله تكون عوضًا عن حقهم، وعتق رقبة مؤمنة كفّارة عن حق الله، فمن لم يجد الرقبة التي يحررها فعليه صوم شهرين متتابعين، توبة من الله على عباده المؤمنين؛ لأن الله عليم بما يصلح الناس، وحكيم في تشريعه[1].

وجاءت الآية الثانية تبيّن حكم وجزاء من يقتل مؤمنًا متعمدًا، حيث غلّظ الشارع في العقوبة على هذه الجريمة؛ لعظمها عند الله تعالى، فعن البراء بن عازبٍ أنّ رسول اللّه صلى الله عليه وسلم قال: **(لزوال الدّنيا أهون على اللّه من قتل مؤمنٍ بغير حقٍّ)**[2].

ولم يذكر القرآن الكريم له كفارة، بل جعل عقابه أشد عقاب توعّد به القاتل، فهو سبب في هلاك صاحبه في الدنيا والآخرة، حيث قال تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا

(١) انظر: أحكام القرآن، الجصاص ١/ ١٨٠، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٤/ ١٩٢، الفقه الإسلامي وأدلته، وهبة الزحيلي، ٧/ ٥٣٧، روائع البيان، الصابوني، ١/ ٤٩٥.

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الديات، باب التغليظ في قتل مسلم ظلمًا، ٤/ ٢١٢، رقم ٢٦١٩.
وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه، ٦/ ١١٩.

﴿مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣].

فقد حكمت الآية على القاتل المتعمد بعقوبات ثلاثة، وذلك كما يأتي:

الأولى: الخلود في جهنم.

الثانية: استحقاق الغضب واللعنة.

الثالثة: العذاب العظيم في الآخرة.

وثبت في السنة تشريع عقوبة أخرى للقتل العمد، وهي الحرمان من الإرث، والوصية، وذلك في قوله صلى الله عليه وسلم: **(ليس لقاتل ميراث)**[(١)].

فإذا قتل الوارث مورثه، أو الموصى له الموصي، حرم من الميراث والوصية، عملًا بمبدأ سد الذرائع؛ حتى لا يطمع أحد بمال مورثه، فيتعجل موته بالقتل، فمن تعجّل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه[(٢)].

ومن أضرار جريمة القتل ما يأتي:

١. خسران القاتل الآخرة باستحقاقه العذاب والغضب واللعنة.

٢. إنها من الكبائر المنصوص عليها في حديث النبي صلى الله عليه وسلم: **(اجتنبوا السبع الموبقات...)**[(٣)] وعدّ منها قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق.

٣. إنّ قتل نفسٍ واحدةٍ كقتل الناس جميعًا، قال تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ [المائدة: ٣٢].

قال ابن كثير: «أي: من قتل نفسًا بغير سبب من قصاص أو فساد في الأرض، واستحل قتلها بلا سبب ولا جناية، ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ لأنه لا فرق عنده بين نفس ونفس»[(٤)].

٤. إنّ القتل أول ما يقضى فيه بين العباد يوم القيامة، فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(أول ما يقضى بين الناس في الدماء)**[(٥)].

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الديات، باب ليس لقاتل ميراث، ٤/ ٣٣٣، رقم ٢٦٤٦. وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه، ٦/ ١٤٦.

(٢) انظر: الفقه الإسلامي وأدلته، وهبه الزحيلي، ٧/ ٦٢٨.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، ١/ ٦٤، رقم ٨٩.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ٥/ ١٨٠.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الديات، باب قول الله ومن يقتل مؤمنًا متعمدًا،

فمن خلال ما سبق ظهرت لنا بعض أضرار جريمة القتل على مرتكبها، فلابد للإنسان أن يضع مخافة الله سبحانه و تعالى نصب عينيه قبل أن يقدم على هذه الجريمة؛ حتى لا يقع في الهلاك والخسران.

٢. الزنا.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا﴾ [النساء: ١٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا﴾ [الإسراء: ٣٢].

يقول الإمام السعدي رحمه الله: «والنهي عن قربانه أبلغ من النهي عن مجرد فعله؛ لأن ذلك يشمل النهي عن جميع مقدماته ودواعيه»(١)، وقد كانت عقوبة الزانية في صدر الإسلام الحبس في البيت، وعدم الإذن لها بالخروج، وكانت عقوبة الرجل التأنيب والتوبيخ قولًا، قال تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا﴾[النساء: ١٥].

ثم نسخ ذلك بجلد الزاني أو الزانية البكر، ورجم المحصن منهم(٢).

قال تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢ ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوۡ مُشۡرِكَةٗ وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوۡ مُشۡرِكٞۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[النور: ٢، ٣].

ذكر الله سبحانه و تعالى عقاب من انتهك حرمات الله تعالى بالزنا، وبيّن عقوبة كلًّا من الزانيين، وهي مائة جلدة، تستوفونها منهما كاملة دون رحمة أو شفقة، ودون تخفيف من العقاب، أو انتقاص من الحد، وقدّم الزانية لأن الزنا كان حينئذ في النساء أكثر، فإنه كان منهنّ إماء وبغايا يجاهرن بتلك الجريمة، فإن جريمة الزنا أخطر وأعظم من أن تستدر العطف، أو تدفع إلى العفو عن مرتكب هذه الجريمة النكراء، فإن من عرف آثار جريمة الزنا وأضرارها من تدنيس للعرض والشرف وضياع للأنساب، واعتداء على كرامة الإنسان، وتلطيخ لهم بالعار، وتعريض الأولاد للتشرد والضياع؛ حيث يولد اللقيط وهو لا يدري أباه، ولا يعرف حسبه ولا نسبه، فمن عرف ذلك أدرك حكمة الله تعالى في تشريع هذا العقاب الزاجر الصارم، وليس هذا فحسب بل لابد

٨/ ١١١، رقم ٦٤٧١.

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص٤٥٧.

(٢) انظر: روائع البيان، الصابوني، ٢/ ١٩.

أن تشهدوا على هذه العقوبة؛ لتكون زاجرًا له ولأفراد المجتمع من اقتراف مثل هذا المنكر الشنيع، فتحصل العبرة والعظة[1].

وعبّر القرآن بقوله «﴿فَٱجۡلِدُواْ﴾ ولم يقل: (فاضربوا) للتنبيه على أن الغرض من هذا العقاب هو الإيلام، حيث يصل ألمه إلى الجلد؛ وذلك لعظم هذا الجرم»[2].

وفرّقت الشريعة الإسلامية بين حد البكر (غير المتزوج) وحد المحصن (المتزوج) فخففت العقوبة في الأول فجعلتها مائة جلدة، وغلّظت العقوبة في الثاني فجعلتها الرجم بالحجارة حتى الموت؛ وذلك لأن جريمة الزنا بعد الإحصان (التّزوج) أشد وأغلظ من الزنا قبل الإحصان في نظر الإسلام، فالجريمة التي يرتكبها رجل محصن مع (امرأة محصنة) عن طريق الفاحشة أشنع وأقبح من الجريمة التي يرتكبها مع البكر؛ لأنه قد أفسد نسب غيره، ودنّس فراشه، وسلك لقضاء شهوته طريقًا غير مشروع، مع أنه كان متمكنًا من قضائها بطريق مشروع، فكانت العقوبة أشد وأغلظ[3].

وبيّن الله تعالى أن الزاني لا يليق به أن ينكح المؤمنة العفيفة الشريفة، إنما ينكح من هي مثله أو أخس منه، ينكح الزاني الفاجرة، أو المشركة الوثنية، ولا عجب في أنّ الفاسق الخبيث لا يرغب غالبًا إلا في فاسقة مثله أو مشركة، والزانية الخبيثة، كذلك لا ترغب إلا في خبيث مثلها أو مشرك[4].

وقد صدق الله تعالى حيث يقول: ﴿ٱلۡخَبِيثَٰتُ لِلۡخَبِيثِينَ وَٱلۡخَبِيثُونَ لِلۡخَبِيثَٰتِۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾ [النور: ٢٦].

هكذا نجد أنّ الله تعالى حرّم جريمة الزنا لما فيها من أضرار عظيمة ومخاطر جسيمة تودي بحياة الأفراد والجماعات، حيث جعل الله تعالى عقوبة الزاني المحصن الرجم حتى الموت، والبكر الجلد مائة جلدة، وفي ذلك ردع له عن الإقدام على مثل هذه الفعلة ولا حتى قربانها، وقد بيّن الله سبحانه أنه لابد من حضور طائفة من المؤمنين ليشهدوا عذاب الزاني، قال تعالى: ﴿وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ يفيد حضور جمع من المؤمنين عند إقامة الحد؛ وذلك تنكيلًا وعبرةً وعظةً لغيره من التفكير في الإقدام عليها، حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا﴾ [الإسراء: ٣٢].

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ١٠/ ١٥٩، روائع البيان، الصابوني، ٢/ ١١٢.
(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٢/ ١٦٠.
(٣) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٤/ ٢٧٦.
(٤) انظر: روائع البيان، الصابوني، ٢/ ١٢.

نهى عن مقاربته بالمقدمات، كالعزم والنظر وشبهه، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ أي: فعلة ظاهر فحشها وقبحها، ﴿وَسَآءَ سَبِيلًا﴾؛ قبح طريقًا طريقه؛ لما فيه من اختلاط الأنساب وهتك محارم الناس، وتهييج الفتن، فلما يعلم الإنسان أنه ينفضح على رءوس الأشهاد، يقف ويفكّر مليًّا في ما سيفعله، فيكون هذا الترهيب دافعًا له على الاستقامة، وإذا استقام الإنسان يستقيم حال المجتمع، فتصان الأعراض وتحفظ الأنساب[1].

٣. القذف.

القذف جريمة عظيمة نص عليها القرآن والسنة، فهو من الكبائر، ومن أشنع الذنوب وأبلغها في الإضرار بالمقذوف والإساءة إليه؛ لذا كان التحذير منه في القرآن الكريم شديدًا، وقد عاقب الله سبحانه وتعالى القاذفين بعقوبات عديدة.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [النور: ٤].

قال الإمام الطبري رحمه الله في تفسير هذه الآية: «يقول تعالى ذكره: والذين يشتمون العفائف من حرائر المسلمين، فيرمونهنّ بالزنا، ثم لم يأتوا على ما رموهن به من ذلك بأربعة شهداء عدول يشهدون عليهن أنهم رأوهن يفعلن ذلك، فاجلدوا الذين رموهن بذلك ثمانين جلدة، ولا تقبلوا لهم شهادة أبدًا، وأولئك هم الذين خالفوا أمر الله وخرجوا من طاعته ففسقوا عنها»[2].

يقول الإمام القرطبي: «للقذف شروط عند العلماء تسعة: شرطان في القاذف، وهما: العقل والبلوغ؛ لأنهما أصلا التكليف؛ إذ التكليف ساقط دونهما، وشرطان في الشيء المقذوف به وهو: أن يقذف بوطء يلزمه فيه الحد، وهو الزنا واللواط أو بنفيه من أبيه دون سائر المعاصي، وخمسة من المقذوف وهي: العقل، والبلوغ، والإسلام، والحرية، والعفة عن الفاحشة»[3].

بيّنت الآية حكم جلد القاذف للمحصنة وهي الحرة البالغة العفيفة، فإذا كان المقذوف رجلًا فكذلك يجلد قاذفه أيضًا، وليس فيه نزاع بين العلماء، فإن أقام القاذف بيّنة على صحة ما قاله درأ عنه الحد؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾، وقوله: ﴿بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾ يدل على أن شهادة الأربعة شرط في إثبات الزنا[4].

أوجب الله سبحانه وتعالى على القاذف

(١) انظر: البحر المديد، ابن عجيبة، ٤/ ١٢٦.

(٢) جامع البيان، ١٩/ ١٠٢.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، ١٢/ ١٧٣.

(٤) انظر: أحكام القرآن، الكيا الهراسي، ٤/ ٢٣، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ١٠/ ١٧١.

إذا لم يأت بالبينة على صحة ما قال ثلاث عقوبات، حسية ومعنوية ودينية:

أولًا: العقوبة الحسية: وتتمثل في جلد القاذف ثمانين جلدة.

ثانيًا: العقوبة المعنوية: وتتمثل في عدم قبول شهادة القاذف، فيهدر قوله، ويصبح في المجتمع من المنبوذين، فلا ثقة له بين الناس.

وقد توعد الله سبحانه وتعالى لأولئك الذين يرمون المؤمنات المحصنات ويتهمونهن بالزنا، باللعنة في الدنيا والآخرة والعذاب العظيم لجرم الذنب الذي ارتكبوه في حقهن، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ٢٣].

يقول الإمام القرطبي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: «﴿لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ قال العلماء: إن كان المراد بهذه الآية المؤمنين من القذفة، فالمراد باللعنة: الإبعاد وضرب الحد واستيحاش المؤمنين منهم وهجرهم لهم، وزوالهم عن رتبه العدالة، والبعد عن الثناء الحسن على ألسنة المؤمنين»[(١)].

لذلك نجد الله سبحانه وتعالى شدّد في عقوبة القذف، فجعلها قريبة من عقوبة الزنا؛ وذلك صيانة للأعراض من التهجم، وقطع ألسنة السوء، فيمتنع ضعاف النفوس من أن يجرحوا مشاعر الناس، وجريمة القذف تولّد أخطارًا جسيمة في المجتمع، فكم من فتاة عفيفة شريفة لاقت حتفها بسبب كلمة قالها قائل، فوصل خبرها إلى الناس، وافتضح أمرها، وانتشر صيتها، وهي بريئة من ذلك، فجاءت حكمة التشريع في بيان العقوبة المترتبة على هذه الجريمة؛ ردعًا للقاذف من أن يتهم الناس بالفاحشة، وحماية سمعتهم من التدنيس، ومنع إشاعة الفاحشة بين المؤمنين، فإن كثرة الترامي بها، وكثرة سماعها، وسهولة قولها، يجرئ السفهاء على ارتكابها، فكانت العقوبة غليظة؛ حتى لا يتجرأ أحد على ارتكابها، ولا يقدم على فعلها، فيمتنع عن هذا الفعل الشنيع، وبذلك يستقيم الإنسان، وتصان الأعراض من أن تنتهك، وتحفظ كرامة الأمة، ويطهر المجتمع من مقالة السوء، وتنتشر المودة والمحبة بين الأفراد، وبذلك تستقيم حياة الأمة[(٢)].

٤. السرقة.

السرقة من الجرائم العظيمة في الإسلام، فهي لا تحل في شرع الله، ولا في أي قانون وضعي؛ لأن إباحة السرقة تخلّ بأمن الناس، وتفقد الطمأنينة؛ ومن ثمّ يتزعزع استقرار المجتمع؛ لذا فقد جعل الله سبحانه

(١) الجامع لأحكام القرآن، ١٢/ ٢١٠.

(٢) انظر: التشريع الجنائي في الإسلام، عبدالقادر عودة، ٢/ ١٧٧.

و تعالى عقوبة السرقة القطع زجرًا لأخذ الأموال بغير حق.

يقول تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨، ٣٩].

الأحكام التشريعية المستنبطة من النص:

جاءت الآية الأولى تبيّن حكم السرقة، فكل من يسرق فحكمه أن تقطع يده اليمنى من الكوع، وكذا يد السارقة؛ مجازاة لهما على ظلمهما بالاعتداء على أموال غيرهم، وقد ذكر ﴿وَٱلسَّارِقَةُ﴾ عطفًا على ﴿وَٱلسَّارِقُ﴾ حتى لا يفهم منها أنّ الحكم مقتصرٌ على الذكور فقط دون الإناث، فقد كانت العرب لا تقيم الحدود على الإناث قبل الإسلام، ونلاحظ أن الآية لم تبيّن مفهوم السرقة ولا النصاب الذي تسمى عنده سرقة فتوجب الحد، ولا كيفية القطع ومكانه، فقد بيّنت ذلك السنة النبوية، كما بيّنت الآية أن هذا الحكم إنما هو جزاءً من الله على ظلم السارق والسارقة في اعتدائهما على حقوق العباد، وأنه عقوبة من الله تعالى لهما تجعل غيرهما لا يقدم على أخذ أموال الناس بطريق السرقة المحرمة، وذلك الحكم لأن الله سبحانه و تعالى ﴿عَزِيزٌ﴾ في ملكه لا يغالبه مغالب، و﴿حَكِيمٌ﴾ في تدبيره وقضائه[1].

وبيّنت الآية الثانية أنّ من تاب من السارقين بعد قيامه بالسرقة فأقلع عن السرقة وعمل عملًا صالحًا، فإن الله يقبل توبته، لكن مع الانتباه أن الآية لم تذكر إسقاط عقوبة السرقة، وإن جاء السارق تائبًا قبل القدرة عليه[2].

وقد جعل الله تعالى عقوبة السرقة هي القطع «ليكون هذا العقاب الصارم عبرة للناس؛ حتى يرتدع أهل البغي والفساد، ويأمن الناس على أموالهم وأرواحهم»[3].

وعليه فالجزاء على السرقة جزاء يقصد منه الردع وعدم العود، فليس بانتقام، ولكنه استصلاح وتهذيب لسلوك الفرد والمجتمع، فلا يكون المراد أن القطع تعويض عن المسروق، فعندما يعلم المكلف أن يده ستقطع، وأنه سيصبح بلا يد فتكون علامة مادية للمجتمع أنه سارق، فإنه سيفكر جيدًا في هذا التصرف من حيث أنه سيلقى عقابه بقطع يده، وسيلقى الخزي بين مجتمعه بيده المقطوعة؛ ومن ثمّ يصبح هذا الحكم دافعًا له للاستقامة على الطاعة وحفظ الأمانة، واجتناب المعصية.

(١) انظر: أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري، ١/ ٦٢٩.
(٢) انظر: التحرير والتنوير، ٦/ ١٩٠-١٩٣.
(٣) الجامع لأحكام القرآن ،القرطبي ، ١/ ٢٥٣.

صور الترهيب في القرآن الكريم

ذكر القرآن الكريم صور وطرقًا عديدة تخوّف المؤمن من حصول العذاب في الدنيا والآخرة، فمن طريقة القرآن الكريم وأساليبه، ترهيب المؤمن بما أعد الله من أصناف العذاب لمن خالف أمره، وكل ذلك حتى يكون على طاعة مستمرة لربه، وبذلك يحصل له الفوز في الدنيا والآخرة.

والمتأمل في القرآن الكريم يجد أن أسلوب الترهيب لم يأت بصيغة الترهيب الصريحة فحسب، بل جاء في العديد من المواضع بطريق التلميح والتعريض والتهديد، وبطرق أخرى نبيّنها فيما يلي:

١. التهديد والتخويف بصيغة العلم.

فكثيرًا ما يقع التهديد في القرآن بذكر (العلم)، والمثال على هذا قوله عز وجل: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٣].

فالأمر بـ (العلم) بأن لقاء الله آتٍ لا مفر منه مشعر بالتهديد[(١)]، ومن هذا القبيل أيضًا ، قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ١١٩].

٢. الترهيب بصيغة (أفعل).

والمراد: المبالغة في التهديد والزجر، والمثال عليه قوله سبحانه: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا ۚ أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ ۚ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٤].

ففي الآية تهديد عظيم لمن منع مساجد الله أن تقام فيها العبادة، ونحو هذا قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤٠].

٣. الإملاء للمعرضين والإمداد لهم.

والمثال عليه قوله سبحانه: ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ [الزخرف: ٨٣].

ونظير هذا قوله عز وجل: ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ [الطور: ٤٥].

٤. التعبير بصيغة المستقبل بالإخبار عن عاقبة المعرضين.

ومثاله قوله تعالى: ﴿سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٥].

يقول ابن كثير: «سترون عاقبة من خالف أمري وخرج عن طاعتي كيف يصير إلى الهلاك والدّمار والتّباب»[(٢)]، ونظيره قوله سبحانه: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

(١) انظر: جامع البيان، الطبري، ٣/ ٧٦٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ٣/ ٤٢٦.

٥. الأمر بطاعة الله سبحانه والرهبة منه.

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِيَّىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠].

فالأمر هنا متضمن معنى التهديد والوعيد.

٦. تكرار الكلام بلفظه، والقصد التهديد.

قال تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ١٣].

فقد تكررت هذه الآية كثيرًا في سورة الرحمن؛ بقصد التهديد لمن تنكّر لنعم الله عليه وأفضاله.

٧. إخباره سبحانه بعدم غفلته عما يفعله عباده.

والمثال عليه قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٧٤].

فالمراد: التهديد، ونحو هذا قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [إبراهيم: ٤٢].

٨. الخطاب بلفظ (الإنذار).

من ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: ٣٩]. فالإنذار يتضمن معنى الترهيب.

٩. ختم الآيات بعبارات تفيد أنّ من يخالف أوامر الله سبحانه فإنه معرّض للعذاب الشديد.

كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٣٩].

١٠. الإخبار بلفظ الغلبة والحشر.

كقوله سبحانه: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [آل عمران: ١٢].

فالمراد بـ(الغلبة) و(الحشر) هنا التهديد.

١١. التذكير بالأمم السالفة، وما نزل بها من العقاب والعذاب.

كقوله تعالى: ﴿وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [سبأ: ٤٥].

فالآية سيقت مساق التهديد بتذكيرهم بالأمم السالفة التي كذّبت رسلها، وكيف عاقبهم الله على ذلك، وكانوا أشد قوة من قريش، وأعظم سطوة منهم.

ومن خلال ما تقدم تبيّن أن أساليب القرآن الكريم تعددت في خطاب النفس البشرية، ما بين ترهيب وإنذار، ووعيد، وتخويف، وكان الترهيب من الأساليب التي اعتمدها القرآن في خطابه؛ وذلك أن من النفوس البشرية من لا تستجيب لنداء الحق إلا إذا خوطبت بخطاب فيه تهديد ووعيد.

أثر الترهيب في سلوك المرء

إنّ القرآن الكريم استخدم الكثير من الآيات المتضمنة للترهيب، قال تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [النحل: ٥١].

قال البيضاوي في تفسيره: «﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ ذكر العدد مع أن المعدود يدل عليه دلالة على أن مساق النهي إليه، أو إيماء بأن الاثنية تنافي الألوهية، كما ذكر الواحد في قوله: ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾، للدلالة على أن المقصود إثبات الوحدانية دون الإلهية، أو للتنبيه على أن الوحدة من لوازم الإلهية، ﴿فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ نقل من الغيبة إلى التكلم مبالغة في الترهيب، وتصريحًا بالمقصود، فكأنه قال: فأنا ذلك الإله الواحد فإياي فارهبون لا غير»[(١)]، وفي قوله: ﴿فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ يقول: فإياي فاتقوا وخافوا عقابي بمعصيتكم إياي إن عصيتموني وعبدتم غيري، أو أشركتم في عبادتكم لي شريكًا، فدلت هذه الآية على مخافة العبد من غضب الله وسخطه وعذابه[(٢)].

ولا شك أن الترهيب بأنواعه المتعددة وأساليبه المختلفة له أثره الكبير على سلوك المرء؛ لكون هذا الأسلوب رادعًا للفرد حينما يقصّر في أداء ما فرضه الله سبحانه وتعالى عليه من العبادات، وللعبادات تأثير واضح في سلوك الفرد، فهي التي تزكّي نفسه، وتزيد مراقبته لربه تعالى في السر والعلن، والخوف منه، فينزجر عن المعاصي والإضرار بالناس، ويسارع إلى عمل الخير، ولاشكّ أن المجتمع سيكون سعيدًا إذا زاد فيه عدد الصالحين الخائفين من الله تعالى، وأنّ كمية الخير في المجتمع ستكثر، وأن الجرائم تقل، فالعبادات في الإسلام تصلح الفرد والمجتمع، ولها الأثر الكبير في استقامة الإنسان[(٣)].

وكذلك إذا اجتنب المرء ما نهى الله عنه من كبائر الذنوب والمعاصي، يبقى الفرد في اتصال دائم مع ربه فيخاف عقابه وعذابه ويرجو رحمته، قال تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١].

يقول القاسمي في تفسيره: «﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ أي: كبائر الذنوب التي نهاكم الشرع عنها، مما ذكر هاهنا ومما لم يذكر، ﴿نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ أي: صغائر ذنوبكم، ونمحها عنكم، وندخلكم الجنة»[(٤)].

(١) أنوار التنزيل، ٣/ ٢٢٩.
(٢) انظر: جامع البيان، الطبري، ١٧/ ٢٢٠.
(٣) انظر: أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، ص ٦٩.
(٤) محاسن التأويل، ٣/ ٨٨.

ومن رحمة الله سبحانه وتعالى بعباده أن جعل باب التوبة مفتوحًا لمن أقدم على كبيرة من الكبائر، كالقتل والشرك والزنا والعقوق وغيرها من الآثام، قال سبحانه: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢].

أي: إن الله يغفر لمن رجع عما كان فيه من كفر أو شرك أو نفاق أو معصية، وآمن بقلبه، وعمل الصالحات بجوارحه ثم استقام على طاعة ربه[1].

فلما يعلم المرء أن الله سبحانه وتعالى يغفر الذنوب والكبائر والمعاصي، فإنه يبادر إلى التوبة والرجوع والإنابة إلى الله وحده، فيستقيم على طاعة ربه، ويبتعد عن كل ما يسخط الله ويغضبه؛ لأنه يعلم الوعيد الذي أعده الله سبحانه لمن خالف أمره وعصاه، فلو استطاع الإفلات من عذاب الدنيا، فإن العقاب الأخروي ينتظره، فمن ثمّ يكون لهذا الترهيب الأثر البالغ على سلوك المرء، لاسيما وإنّ الترهيب يثير عند الإنسان عامل الخوف، وعامل الرجاء والأمل، وهما في الواقع يوجّهان اتجاه الإنسان إلى السلوك الأفضل والطريق الأقوم.

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٥/٣٠٩.

فوائد الترهيب في التربية والدعوة

أولًا: فوائد الترهيب في التربية:

لاشك أن الترهيب في التربية له فوائده الكثيرة التي تعود بالنفع على صاحبه، وتظهر مكانة الترهيب وأهميته من أمر الله تعالى الصريح بتطبيقه واستعماله في حقّه جلّ ثناؤه، قال تعالى: ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠].

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾ [المائدة: ٤٤].

فالترهيب من ركائز الإيمان، فيقتضي الخوف؛ لذا قيّده الله تعالى بالإيمان في قوله: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

فجعل الخوف والرهبة شرطًا في تحقيق الإيمان، فإذا تحقق الشرط وهو الخوف، تحقق المشروط وهو الإيمان، فالمقصود أن الخوف من لوازم الإيمان وموجباته فلا يختلف عنه، فالخوف يربي المؤمن على طاعة ربه، ومن ثمّ يبقى على صلة بالله؛ فيزداد إيمان المؤمن بالطاعات، وبالبعد عن المنكرات.

وكذلك فإن الترهيب سبب في وصول المسلم إلى أعلى الدرجات، فمثلًا صاحب القلب الخائف، هو الّذي يقيم الصلاة على أكمل وجه، وهو الّذي يؤدي الزكاة

بنفس طيبة، وهو الّذي يخشى الله في السر والعلن، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [التوبة: ١٨].

ولهذا كان جزاؤه الفوز والفلاح وميراث جنة الفردوس.

وقد بيّن سبحانه وتعالى اتصاف أنبيائه صلوات الله وسلامه عليهم به، بعد أن أثنى عليهم ومدحهم، فقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وقال تعالى عن ملائكته الكرام الذين أمنهم من عذابه: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: ٥٠].

وقال سبحانه عن عباده العلماء: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨].

وهكذا نجد أن الأنبياء والملائكة والعلماء كانوا يدعون ربهم خوفًا ورهبة منه سبحانه وتعالى، وفي ذلك دعوة لنا أن نتذكر هذا الأسلوب الناجع في حياتنا، فالأفضل منا جميعًا كانوا يتصفون به، فمن باب أولى أن نكون أول من يلتزم ويتذكر هذا الأسلوب التربوي الذي ذكره الله سبحانه في كتابه؛ كي يكون رادعًا لنا في حياتنا اليومية.

والترهيب سبب في الانتفاع بالعبر والقصص القرآنية التي تحدثت عن مصير الأمم الغابرة؛ لأنّ من طبع النفس النسيان والغفلة؛ لذلك فإن الترهيب يصبح نوعًا من التذكير بما آلت إليه النفس من ارتكاس ونكوص، ووقوع في الرذائل والآثام هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن من رهب الله تعالى وخاف وعيده أوجب له ذلك الحذر، ومن ثمّ الانتفاع بالعظات والآيات والعبر، قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: ٤٥].

وقال تعالى: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ﴾ [الأعلى: ١٠].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [هود: ١٠٣].

ومن خلال ما سبق ذكره من الآيات ظهر لنا فوائد الترهيب في التربية، فهو سبب في القضاء على كثير من الأمراض والجرائم الاجتماعية، والمخالفات السلوكية، وسبب في تقوية وزيادة الإيمان، بمعنى أن من لم يرتدع بالترغيب والإرشاد والجدل واللين، واستمرّ على ما هو عليه، فلابد له حينئذٍ من سياط التخويف وسطوات السيوف من خلال الترهيب العمليّ، فمثلًا المرتد المصرّ على ردّته يقتل، والزاني المحصن يرجم، والسارق المستمر في فعله تقطع يده، ومن خلال ما سبق ظهر لنا فوائد هذا الأسلوب في التربية.

ثانيًا: فوائد الترهيب في الدعوة إلى الله:

قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل: ١٢٥].

الدعوة إلى الله واجب كل مسلم، كما كانت من قبل وظيفة الأنبياء والرسل، ولقد شرع لنا الله سبحانه في دعوتنا للناس أساليب ووسائل تتنوع بين الحين والآخر، فقد يستخدم مع المدعو أحيانًا أسلوبًا أو وسيلة تختلف عنه مع مدعو آخر.

ومن هنا يبرز لنا أهمية أسلوب الترهيب في الدعوة إلى الله؛ لأن هنالك بعضًا من الناس وأصنافًا منهم لا يجدي فيهم الترغيب والوعود الجميلة، وإنما ينفع معهم التقريع والتعنيف والتهديد، وكسر حدة النفس ونتوئها وإعراضها عن الحق، وإلزامها كلمة التقوى والمتابعة، فكان الترهيب والتخويف مناسبًا لذلك.

ومن صوره: الترهيب من ترك جنس الطاعات، وعدم القيام بأركان الإسلام والإيمان والإحسان، أو التهاون في بقية أنواع الطاعات الأخرى، والحقوق والواجبات المترتبة على المسلم، فناسب تنبيهه إلي ما ينبغي عليه العمل بـه والتحلي بموجبه[1].

لذلك ينبغي للداعية عندما يلجأ إلى الترهيب في الدعوة إلى الله، أن يوازن بين ما يحصل من مفاسد، وما يترتب على ترهيبه من مصالح، إذ لابد أن تكون المصلحة الترهيبية راجحة على المفسدة؛ لأن هذا هو الذي يحبه الله ويرضاه، وبهذا بعثت الرسل وأنزلت الكتب، لذا إن تأكد الداعية حدوث مفسدة أعظم من التي أراد إزالتها بسبب ترهيبه فليس له أن يرهّب، وكذلك لابد للداعية أن يكون حريصًا على إيصال الحق إلى الخلق، فهو مطالب باستخدام هذه الوسيلة، فنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ذهب إلى عكاظ وذي المجاز وغيرهما وغشى أندية قريش واجتماعاتهم، ولكن لابد للداعية أن يكون متسلحًا بالعلم وقوة الإيمان والأسلوب الأمثل للمدعوين زمانًا ومكانًا وتأهيلًا[2].

وقال تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

فلابد للداعية المسلم أن يكون حريصًا على دعوة أخيه إلى الخير، وينهاه عن المنكر في دنياه؛ لأن هناك الكثير من الناس يتعلق

(١) انظر: وسائل الدعوة، عبد الرحيم المغذوي، ص٢٠٥.

(٢) انظر: من وسائل الدعوة، محمد بن عبد العزيز الثويني، ص ٢٩.

بهذه الدنيا الزائلة، ويجعلها همه وغايته، ولما كان الإنسان يعيش في الدنيا ويتعرض لإغراءاتها مما قد يجرّه إلى الركون إليها، والتعلق بها، ونسيان الآخرة، فلابد إذن من تنفير المدعوين من إيثارها على الآخرة، لا من الفرار منها جملة واحدة، مع بيان حقيقتها وقيمتها وقدرها بالنسبة إلى الآخرة ونعيمها.

وقد بيّن ذلك كله القرآن الكريم خير بيان، مما يجعل أيّ مسلم عاقل يؤثر الآخرة على الدنيا، بل ويجعل المدعو غير المسلم منجذبًا إلى هذه الحقائق في موازنة الدنيا مع الآخرة، وقد يجرّه ذلك إلى الإيمان لما يحسه من صدق هذا البيان والتصوير لقيمة الدنيا الفانية، ومن الآيات القرآنية الدالة على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤].

وقال تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠].

يقول السعدي في تفسيره: «يخبر تعالى عن حقيقة الدنيا وما هي عليه، ويبين غايتها وغاية أهلها، بأنها لعب ولهو، تلعب بها الأبدان، وتلهو بها القلوب، وهذا مصداقه ما هو موجود وواقع من أبناء الدنيا، فإنك تجدهم قد قطعوا أوقات أعمارهم بلهو القلوب، والغفلة عن ذكر الله، وعما أمامهم من الوعد والوعيد، وتراهم قد اتخذوا دينهم لعبًا ولهوًا، بخلاف أهل اليقظة وعمّال الآخرة، فإن قلوبهم معمورة بذكر الله، ومعرفته ومحبته، وقد أشغلوا أوقاتهم بالأعمال التي تقرّبهم إلى الله، من النفع القاصر والمتعدي»[1].

وهكذا تظهر لنا فوائد الترهيب في الدعوة إلى الله؛ لأن هناك بعض المدعوين لا ينفع معهم الترغيب، فهو بحاجة لأسلوب رادع وزاجر كأسلوب الترهيب في القرآن.

موضوعات ذات صلة:

التربية، الترغيب، الدعوة، النصيحة

(١) تيسير الكريم الرحمن ص٨٤١.